

أشكال الاحتجاج وإدارة الجامعة: حالة الجامعة الأميركية في القاهرة، 2008-2012

علا جلال وباسمين م. أحمد
سبتمبر 2014

يحلل هذا البحث التغيرات في أشكال الاحتجاج وإدارة الجامعة التي بزغت في الجامعة الأميركية في القاهرة بين 2008 و2010 في ضوء حدثين محوريين هما: انتقال الجامعة إلى مبنى جديد في القاهرة الجديدة في خريف 2008، وثورة 25 يناير في القاهرة في 2011. ومن خلال سلسلة من عمليات الرصد والمقابلات الميدانية تمت في مرحلتين من مراحل البحث، ترصد هذه المقالة النقاشات وردود الأفعال التي أثارها هذه الأحداث في ثلاث مجموعات مكونة للجامعة الأميركية في القاهرة هي الطلاب والعمال والإدارة. ويقول البحث إنه في العام والنصف اللذين أعقبا الثورة حدث تغييرٌ جليٌّ في دور هذه الجماعات التي كانت منخرطة في جهود تهدف إلى صياغة القرارات الإدارية، مرددة صدى الدعوات الواسعة لمزيد من الديمقراطية في مؤسسات مختلفة. ومن المهم أن نشير إلى أن التغيرات في أشكال الاحتجاج والإدارة في الجامعة لم تكن نتيجة مباشرة للثورة؛ بالأحرى، يجب أن يُنظر إليها كعمليات متواصلة منحها الحدث التاريخي زخماً.

في 1919 أنشأ تشارلز دي. واتسون، الذي كان عضواً نشيطاً في الكنيسة المشيخانية، الجامعة الأميركية في القاهرة كجامعة إنكليزية، وفتحت أبوابها في البداية للطلاب الذكور فحسب في 1920؛ والتحقّت الطالبات الإناث بعد ثماني سنوات. وبسبب رسومها التعليمية المرتفعة ومتطلباتها اللغوية، كانت الجامعة الأميركية في القاهرة مقتصرة في أعوامها الأولى على أقلية من النخبة في وقت كان السكان فيه مصر إلى حد كبير ريفيين بمدخل محدود إلى التعليم العالي. واليوم، تحتوي الجامعة الأميركية في القاهرة على الحجم الطلابي السادس الأكبر بين الجامعات الخاصة في البلاد. وفي خريف 2013، كان فيها أكثر من 6500 طالب يدرسون لنيل الإجازة وشهادة الدراسات العليا، وصار عدد الطالبات الإناث مهيمناً أكثر فيها قليلاً. إن الغالبية الضخمة من الطلاب من خلفيات اجتماعية ودينية مختلفة، 92٪ منهم مصريون. وهناك 505 مدرسين مثبّتين، 51٪ مصريون و30٪ أميركيون و19٪ من

جنسيات أخرى. وقد اعتمدت الجامعة الأميركية في القاهرة في الولايات المتحدة ومصر. وبحسب بيان مهمتها، فهي "مؤسسة مستقلة غير ربحية قائمة على الفرص المتساوية"، تقدم "فنوناً ليبرالية استثنائية، وتعليماً مهنيّاً في بيئة متعددة الثقافات".

كانت الجامعة تقع في البداية بالقرب من ميدان التحرير في مركز القاهرة (المكان الذي أصبح مركز الاحتجاجات التي قادت إلى الثورة)، ولكن في 2008 نُقلت الجامعة إلى منطقة مساحتها 260 دنماً وسعرها 400 مليون دولار في القاهرة الجديدة. ومن بين الشروح الرسمية لهذا الانتقال ذكرت إدارة الجامعة مشكلة الاكتظاظ، والحاجة لتطوير غرف الصفوف والمخابر وقاعات المحاضرات بتكنولوجيا حديثة، والرغبة بتحسين الحياة الاجتماعية في الجامعة. لكن كثيرين نظروا إلى هذا الانتقال كعلامة على تسويق الجامعة الأميركية حين صار الحضور الشركاتي مرئياً أكثر فيها، واعتمدت الجامعة أكثر بشكل كبير على عمال من الخارج مهملّة حقوق العمال. وخشي الطلاب والأساتذة أيضاً أنه بإبعاد نفسها عن حقائق الحياة الاجتماعية المصرية، فإن الجامعة الأميركية في القاهرة تفقد هامشها السياسي، وسينسحب الطلاب من المشاركة في مسائل لها أهمية وطنية، وهذا قلق برهن أنه ليس في مكانه كما بينت أحداث الثورة.

وبعد الانتقال، نشأت التوترات بين طلاب الجامعة الأميركية في القاهرة والإدارة حول مسائل تتعلق بمنافذ بيع الطعام في الجامعة والسكن وتوفر صف السيارات ومواعيد الدروس. وقلق الطلاب من ارتفاع الرسوم التعليمية واحتكار الشركات الخاصة للطعام والنقل. ونظموا سلسلة من المظاهرات، ونظموا بشكل لافت إضراب الطعام الذي دعوا أثناءه إلى توفير خيارات طعام أكثر رخصاً في الجامعة.

إن المسائل التي عبئ طلاب الجامعة الأميركية في القاهرة من أجلها تغيرت بعد الثورة بما أن الهموم المحلية تجاوزت مظالمهم المحلية. وكان الطلاب ناشطين أثناء الانتفاضات، ربما ليس باسم مؤسستهم، وليس بشكل حصري في الجامعة، لكن من خلال مشاركتهم في حركة شبابية أكبر كانوا جزءاً منها وشكلت شريحة مهمة من المحتجين. وأحضر كثيرون تجربتهم من ميدان التحرير إلى الجامعة الأميركية في القاهرة، وواصلوا الانخراط في الجماعات الأوسع المطالبة بالتغيير الاجتماعي والسياسي. ووسّع طلاب الجامعة الأميركية في القاهرة دائرة نشاطاتهم مشكلين شبكات ليس فقط مع مجموعات في الجامعة، كمثّل مجموعات العمال والمدرسين والموظفين، لكن أيضاً مع المجموعات الطلابية من جامعات أخرى عامة وخاصة في البلاد. وفي أيلول/سبتمبر 2011، شكلوا حركة الشباب اليسارية التي تهدف إلى حماية

حق الطلاب في ممارسة السياسة في الجامعة، ورفع الوعي حيال مطالب عمال الجامعة وأوضاع العمل.

إن الاحتجاجات السابقة للثورة التي نظمها الطلاب والعمال في الجامعة الأميركية في القاهرة زادت كثافتها بعد الثورة، مما قاد إلى أكبر إضراب في تاريخ الجامعة في أيلول/سبتمبر 2011، قام به الطلاب وانضم العمال متضامنين، بينما دعم أعضاء الهيئة التدريسية المجموعتين وتوسطوا بينهما وبين الإدارة. و كانت المطالب تتعلق بعدد متنوع من المسائل: من شفافية ميزانية الجامعة إلى تمثيل الطلاب في اجتماعات الإدارة، وكلها مُنحت. ثم، في شباط/فبراير 2012، حين كانت البلاد تحت قيادة المجلس الأعلى للقوات المسلحة، نظم الطلاب والمدرسون إضراباً لمدة ثلاثة أيام استجابة إلى دعوة على مستوى البلاد من قبل اتحادات الطلاب في أعقاب مباراة كرة قدم قُتل أثناءها أكثر من 70 من الهواة في ما يُعرف الآن باسم مجزرة بور سعيد.

إن عمال الجامعة الأميركية - سواء كانوا يتقاضون راتباً أو موظفين بعقد - بزغوا أيضاً كفاعلين مرئيين وأقوياء في رحم إدارة الجامعة. وكانت مظالمهم قبل الثورة تتعلق بغياب نظام واضح للتعويضات والترقيات ولتقديم الشكاوى. و أضربوا في تشرين الأول/أكتوبر 2010 مطالبين بزيادة في الحد الأدنى للأجر، وببديل وجبة، وعطلة نهاية أسبوع لمدة يومين. وبعد أن امتنعت الإدارة عن تلبية مطالبهم، رتب العمال إضراباً آخر في أيلول/سبتمبر 2011، والذي تم هذه المرة بشكل مشترك مع الطلاب. وكانت النتيجة الأكثر أهمية لهذا الإضراب تشكيل نقابة العامل المستقل، والتي، كما عبر أحد الذين قابلناهم، وسم بداية حركة عمالية حقيقية في الجامعة.

وبدورها، أظهرت الإدارة بعد الثورة انخراطاً ورغبة أكبر للتفاوض مع المجموعات المختلفة في الجامعة. و كنتيجة لميلها لمراجعة سياساتها وكاستجابة للجهود المتواصلة للطلاب والعمال كي يستهلوا التغيير في إدارة الجامعة، تبنت الإدارة سياسات جديدة أو بدلت الموجودة، مقتربة أكثر إلى نموذج مشترك من الإدارة عبر خرط أصحاب المصلحة في الجامعة في صناعة القرار. إن التغييرات الملحوظة أكثر من غيرها، والتي سرى مفعولها بعد 25 يناير، هي السماح لممثلي الطلاب بحضور الاجتماعات الإدارية، وصياغة ميثاق حرية التعبير في الجامعة الأميركية في القاهرة، وتعيين أمين مظالم، وتخفيف بعض القيود الأمنية.

وهكذا، إن أفعالاً كثيرة تمت في الجامعة الأميركية في القاهرة استجابة للبيئة السياسية المتغيرة في مصر، وكانت ناجمة إلى حد كبير عن الثورة، لكنها لم تنتج عنها حصرياً. وبالرغم من أنه

من المبكر تقويم التأثيرات طويلة الأمد لهذه التغييرات، إلا أن المرء يستطيع القول إن الثورة وسعت فرص تسييس طلاب الجامعة الأميركية في القاهرة والعمال وتفاعلهم مع المجتمع خارج بوابات الجامعة، ولو في إطار محدود وبشكل مؤقت.